(ولا تعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد ا أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) الخطاب للنبي A والمقصود به المسلمون أي لا تعجبكم . والجملة معطوفة على جملة النهي عن الصلاة عليهم .

ومناسبة ذكر هذا الكلام هنا أنه لما ذكر ما يدل على شقاوتهم في الحياة الآخرة كان ذلك قد يثير في نفوس الناس أن المنافقين حصلوا سعادة الحياة الدنيا بكثرة الأموال والأولاد وخسروا الآخرة . وربما كان في ذلك حيرة لبعض المسلمين أن يقولوا : كيف من ا عليهم بالأموال والأولاد وهم أعداؤه وبغضاء نبيه . وربما كان في ذلك أيضا مسلاة لهم بين المسلمين فأعلم ا المسلمين أن تلك الأموال والأولاد وإن كانت في صورة النعمة فهي لهم نقمة وعذاب وأن ا عذبهم بها في الدنيا بأن سلبهم طمأنينة البال عليها لأنهم لما اكتسبوا عداوة الرسول والمسلمين كانوا يحذرون أن يغري ا رسوله بهم فيستأصلهم كما قال (لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا) ثم جعل ذلك مستمرا إلى موتهم على الكفر الذي يصيرون به إلى العذاب الأبدي .

وقد تقدم نظير هذه الآية في هذه السورة عند ذكر شحهم بالنفقة في قوله (قل أنفقوا طوعا أو كرها) الآيتين فأفيد هنالك عدم انتفاعهم بأموالهم وأنها عذاب عليهم في الدنيا ثم أعيدت الآية بغالب ألفاظها هنا تأكيدا للمعنى الذي اشتملت عليه إبلاغا في نفي الفتنة والحيرة عن الناس .

ولكن هذه الآية خالفت السابقة بأمور : أحدها أن هذه جاء العطف في أولها بالواو والأخرى عطفت بالفاء . ومناسبة التفريع هنالك تقدم بيانها ومناسبة عدم التفريع هنا أن معنى الآية هذه ليس مفرعا على معنى الجملة المعطوف عليها ولكن بينهما مناسبة فقط .

ثانيهما أن هذه الآية عطف فيها الأولاد على الأموال بدون إعادة حرف النفي وفي الآية السالفة أعيدت (لا) النافية ووجه ذلك أن ذكر الأولاد في الآية السالفة لمجرد التكملة والاستطراد إذ المقام مقام ذم أموالهم إذ لم ينتفعوا بها فلما كان ذكر الأولاد تكملة كان شبيها بالأمر المستقل فأعيد حرف النفي في عطفه بخلاف مقام هذه الآية فإن أموالهم وأولادهم معا مقصود تحقيرهما في نظر المسلمين .

وفي لام دون (أن) بإظهار (يعذبهم أن ا يريد إنما) قوله هنا جاء أنه ثالثهما A E الآية السالفة (إنما يريد ا ليعذبهم) بذكر لام التعليل وحذف (أن) بعدها وقد اجتمع

الاستعمالان في قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) إلى قوله (والله يريد أن يتوب عليكم) في سورة النساء . وحذف حرف الجر مع (أن) كثير . وهنالك قدرت أن بعد اللام وتقدير (أن) بعد اللام كثير . ومن محاسن التأكيد الاختلاف في اللفظ وهو تفنن على أن تلك اللام ونحوها قد اختلف فيها فقيل هي زائدة وقيل : تفيد التعليل . وسماها بعض أهل اللغة (لام أن) وتقدم الكلام عليها عند قوله تعالى (يريد الله ليبين لكم) في سورة النساء .

رابعها أنه جاء في هذه الآية أن يعذبهم بها في الدنيا وجاء في الآية السالفة في الحياة الدنيا ونكتة ذلك أن الآية السالفة ذكرت حالة أموالهم في حياتهم فلم تكن حاجة إلى ذكر الحياة . وهنا ذكرت حالة أموالهم بعد مماتهم لقوله (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) فقد صاروا إلى حياة أخرى وانقطعت حياتهم الدنيا وأصبحت حديثا .

وبقية تفسير هذه الآية كتفسير سالفتها .

(وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استئذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) هذا عطف غرض على غرض قصد به الانتقال إلى تقسيم فرق المتخلفين عن الجهاد من المنافقين وغيرهم وأنواع معاذيرهم ومراتبها في القبول . دعا إليه الإغلاظ في تقريع المتخلفين عن الجهاد نفاقا وتخذيلا للمسلمين ابتداء من قوله (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض) ثم قوله (لو كان عرضا قريبا) وكل ذلك مقصود به المنافقون